



المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات
Arab Center for Research & Policy Studies

دراسات | 10 تشرين الأول / أكتوبر، 2021

علاقات إيران بفلسطين: الماضي والحاضر والمستقبل

سيد علي علوي

وحدة الدراسات الإيرانية

* هذا البحث ملخص لكتاب إيران وفلسطين: الماضي والحاضر والمستقبل الذي نشرته دار راوتليدج في عام 2019، ينظر:

Seyed Ali Alavi, Iran and Palestine, Past, Present, Future (London: Routledge, 2019).

سيد علي علوي

حاصل على شهادة الدكتوراه في العلوم السياسية من كلية الدراسات الشرقية والأفريقية في جامعة لندن، وزميل تدريس في قسم العلوم السياسية والدراسات الدولية فيها. نشرت دار راوتليدج كتابه **إيران وفلسطين: الماضي والحاضر والمستقبل** في عام 2019. وهو يكتب عن السياسات المعاصرة في الشرق الأوسط وأوروبا ويعلّق عليها. ظهر في مقابلات عديدة مع وسائل إعلامية دولية متعدّدة منها «يورونيوز» و«قناة الجزيرة الإنكليزية» و«روسيا اليوم»، و«هيئة الإذاعة البريطانية»، و«راديو إل بي سي» و«راديو فور» وغيرها

جميع الحقوق محفوظة للمركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات © 2021

المركز العربيّ للأبحاث ودراسة السياسات مؤسّسة بحثيّة عربيّة للعلوم الاجتماعيّة والعلوم الاجتماعيّة التطبيقية والتاريخ الإقليمي والقضايا الجيوستراتيجية. وإضافة إلى كونه مركز أبحاثٍ فهو يولي اهتماماً لدراسة السياسات ونقدها وتقديم البدائل، سواء كانت سياسات عربيّة أو سياسات دوليّة تجاه المنطقة العربيّة، وسواء كانت سياسات حكوميّة، أو سياسات مؤسّسات وأحزاب وهيئات.

يعالج المركز قضايا المجتمعات والدول العربيّة بأدوات العلوم الاجتماعيّة والاقتصاديّة والتاريخيّة، وبمقاربات ومنهجيّات تكامليةّ عابرة للتخصّصات. وينطلق من افتراض وجود أمن قوميّ وإنسانيّ عربيّ، ومن وجود سماتٍ ومصالح مشتركة، وإمكانية تطوير اقتصاد عربيّ، ويعمل على صوغ هذه الخطط وتحقيقتها، كما يطرحها كبرامجٍ وخططٍ من خلال عمله البحثيّ ومجمل إنتاجه.

المركز العربيّ للأبحاث ودراسة السياسات

شارع الطرفة، منطقة 70

وادي البنات

ص. ب: 10277

الضعائن، قطر

هاتف: + 974 40354111

www.dohainstitute.org

المحتويات

1	ملخص
2	أولاً: معارضة إيران قبل الثورة والقضية الفلسطينية
4	ثانياً: إسلاميو إيران ما قبل الثورة والقضية الفلسطينية
7	ثالثاً: علاقات إيران بفلسطين في العقد الأول من الثورة الإسلامية
8	1. الحرب الإيرانية - العراقية (1980-1988) وتداعياتها على العلاقات بين إيران ومنظمة التحرير الفلسطينية
9	2. علاقات إيران بالحركات الفلسطينية في فترة ما بعد الحرب الإيرانية - العراقية: حركة الجهاد الإسلامي الفلسطينية، فصل جديد في النضال الفلسطيني
11	3. إيران وحماس (1987-2011): العلاقات الاستراتيجية والقيم المشتركة والخلافات الأيديولوجية
12	رابعاً: انسحاب إسرائيل من جنوب لبنان (2000)، والانتفاضة الفلسطينية الثانية، والانتخابات الفلسطينية (2006)
14	خامساً: حرب إسرائيل على غزة (2008/ 2009) وردة فعل إيران
14	سادساً: إيران والحركات الفلسطينية الإسلامية في حقبة بعد الربيع العربي
15	سابعاً: حربا غزة 2012 و2014: إيران وحماس والجهاد الإسلامي
17	خاتمة
18	المراجع
18	الأجنبية
19	الفارسية

ملخص

تبحث هذه الدراسة في علاقة إيران بالحركات الفلسطينية منذ البدايات الأولى للمعضلة الفلسطينية، عن طريق دراسة طبيعة العلاقات التي تربط بين جمهورية إيران الإسلامية وفلسطين، وتدقق بصلات الحركات الثورية الإيرانية بفلسطين، من منظوري المعسكرين اليساري والإسلامي على حد سواء، وتقتفي أثر أصول المشاعر المؤيدة لفلسطين ما قبل عام 1979 بغية تقديم خلفية تاريخية عن فترة ما بعد الثورة، وتراعي سياق الأحداث التي وقعت منذ بداية المعضلة الفلسطينية وصولاً إلى الحقبة التي تلت الربيع العربي. وتركز على جذور التوجه الأيديولوجي للدولة ومصالحها، من خلال استعراضها الموقف المؤيد لفلسطين في إيران بعد الثورة، وتحقق على نحو متعمق من علاقات الجمهورية الإسلامية بحركتي حماس والجهاد الإسلامي. وعلى الرغم من العدد المتنامي للأدبيات التي تتناول الثورة الإيرانية وتأثيراتها في المنطقة، فإنه جرى إغفال علاقة إيران بفلسطين. وفي هذا الإطار، تسد هذه الدراسة فجوة في الأوساط الأكاديمية، فتتيح للجمهور الاطلاع على تاريخ الدولتين، وتحول فكرة التضامن إلى مفهوم الرغبة في تحقيق العدالة، وتسعى في نهاية المطاف إلى تحديد جذور الميول الإيرانية المؤيدة لفلسطين.

كلمات مفتاحية: فلسطين، إيران، منظمة التحرير الفلسطينية، حماس، حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين، معاداة الصهيونية.

أولاً: معارضة إيران قبل الثورة والقضية الفلسطينية

من الضروري في هذه المرحلة تقديم سياق لانخراط الجماعات الإيرانية المعارضة في القضية الفلسطينية في الفترة التي سبقت الثورة. فبعد إطاحة محمد مصدّق، رئيس وزراء إيران المنتخب ديمقراطياً، في انقلاب عام 1953 وإعادة الحكم الملكي المطلق للشاه بفضل الدعم الاستخباراتي الأميركي والبريطاني في المقام الأول، بدأ المعارضون الإيرانيون يواجهون القمع والقسر المنهجيّين. وبسبب الإكراه من جهة والتقارب السياسي من جهة أخرى، تبنّت الجماعات المعارضة، مثل حزب توده [اليساري] والجبهة الوطنية التي أسّسها مصدّق، بين عامي 1953 و1963 سياسات أقلّ مجابهة لدكتاتورية الشاه. ويسلم بعض المؤرخين والأكاديميين بأن انتفاضة 1963 الشعبية بقيادة آية الله الخميني كانت نقطة تحوّل وحافراً للحركات اليسارية الناشئة التي اعتمدت حرب العصابات في إيران.

فوفق [المؤرخ الأميركي من أصول إيرانية إيرفاند] أبراهاميان، تعود جذور الحركات التي تبنّت حرب العصابات إلى صيف 1963 عندما قمع نظام الشاه بشراسة الاحتجاجات السلمية التي نظّمها المعارضة². وتزامن القمع الوحشي آنذاك مع تصاعد أنشطة الحركات الثورية والحركات التي اعتمدت حرب العصابات في بلدان العالم الثالث، ولا سيما في الجزائر وكوبا وفيتنام وفلسطين. وكان من الطبيعي أن يخلّص الشباب الأعضاء في المنظمات المعارضة التقليدية مثل توده والجبهة الوطنية، الذين تأثروا واستلهموا من الحركات التي اعتمدت حرب العصابات في بلدان العالم الثالث الأخرى، إلى عبثية العمل السلمي ضد نظام الشاه، وأن النزاع المسلح بديل أفضل. ويصنّف أبراهاميان الجماعات الناشئة تلك بوصفها الأكثر نشاطاً وتنظيماً ضمن فئتين: منظمة فدائبي خلق الإيرانية المسلّحة (مناضلو الشعب [خلق] الإيراني من أجل الحرية) والتي تعرف بمنظمة الفدائيين الماركسيين ومنظمة مجاهدي الشعب الإيراني التي تسمّى عادة «المجاهدين الإسلاميين»³.

وبعد عام 1963، أدى الفشل الملحوظ الذي فُني به حزب توده في مواجهة النظام البهلوي، إلى شعور الأعضاء الشباب في الحزب والوحدات الماركسية في الجبهة الوطنية، بالإحباط. واستلهم كثيرون منهم، وكانوا ينتقدون سياسات حزب توده المؤيدة للاتحاد السوفياتي، من الحركات المناهضة للإمبريالية في جميع أنحاء العالم الثالث، وأخذوا ينظّمون مجموعات مستقلة. ووفقاً لأبراهاميان، اعتمدت منظمة فدائبي خلق اسمها في عام 1971، وظهرت إلى النور من خلال اندماج ثلاث مجموعات ناشطة سياسياً. فأسّس المجموعة الأولى بين عامي 1963 و1964 كلٌّ من علي أكبر صفائي فراهاني ومحمد آشتياني وعباس سوركي وبيجان جازاني⁴، وجميعهم أعضاء ناشطون في منظمة الشباب التابعة لحزب توده⁵. وقاد مسعود أحمد زاده، صاحب التوجّهات السياسية والاجتماعية والدينية والماركسية، المجموعة الثانية. أما المجموعة الثالثة، فكانت بقيادة [الناشطة] أشرف دهقاني⁶. ووضع صفائي فراهاني كتيباً بعنوان «ما يجب أن يعرفه الثوري»⁷ رسم من خلاله ملامح التكوين الأيديولوجي للفدائيين، وانتقد فيه اعتماد نظام الشاه على «الإمبريالية العالمية» وسياسته الخارجية المؤيدة للولايات المتحدة الأميركية، ولا سيما «تعاونه» مع إسرائيل ضد البلدان العربية

1 لمزيد من المعلومات عن انقلاب 1953 الذي قادته وكالة المخابرات المركزية الأميركية وجهاز الاستخبارات البريطاني، ينظر: Nikki R. Keddie, *Modern Iran: Roots and Results of the Revolution* (New Haven/London: Yale University Press, 2003), pp. 105 - 170.

2 Ervand Abrahamian, "The Guerrilla Movement in Iran, 1963-1971," *Middle East Research and Information Project (MERIP)*, vol. 86 (March-April 1980), pp. 3 - 15.

3 Ibid., p. 4.

4 كانوا جميعاً طلاباً في جامعة طهران آنذاك.

5 Abrahamian, p. 5.

6 Ibid., p. 6.

7 Ibid.

المجاورة، مثل مصر، ما كان يتسبب بنزاعات سياسية أخرى في اليمن الجنوبي والعراق وسورية. وسلط كتيبه الضوء على أهمية دعم الحركات العالمية المناهضة للإمبريالية بوصفها جزءاً حيوياً من النضال الأيديولوجي لمنظمة فدائيي الشعب الإيراني [أو منظمة فدائيي خلق] ضد نظام الشاه المؤيد للغرب⁸. وفي عام 1969، اجتاز الأعضاء البارزون في منظمة فدائيي خلق الحدود إلى العراق، ليلتحقوا بعدها برفاقهم الفلسطينيين. وتدرّب صفائي فراهاني (الملقب بأبي عباس) وأشتياني في معسكرات منظمة التحرير الفلسطينية في الأردن، وعادا إلى إيران في عام 1969 لاستئناف أنشطتهما المناهضة للصهيونية وللإمبريالية. وعموماً، وبحسب [أستاذ العلاقات العامة] هوشانغ شهابي⁹، تدرّب نحو 30 فدائياً [من فدائيي خلق] في معسكرات في الأردن (حتى عام 1970) وفي لبنان وسورية¹⁰.

كانت منظمة مجاهدي خلق من الحركات اليسارية الأخرى التي ظهرت في ستينيات القرن العشرين حتى مطلع سبعينياته واعتمدت حرب العصابات. وأعلنت مناهضتها للملكية والإمبريالية على حد سواء. وفي أيامها الأولى، ركّزت المنظمة جهودها سعياً وراء استهداف «الإمبريالية»، وخاصة ما تسميه الإمبريالية الأميركية، ورأت في نظام الشاه الملكي متواطئاً. وفي إطار إدانتها للإمبريالية الأميركية و«المتعاونين العالميين» معها، بدأت المنظمة بشجب تحالف النظام البهلوي مع الغرب وإسرائيل والأنظمة الرجعية الأخرى، مثل نظامي جنوب أفريقيا وفيتنام الجنوبية، بصورة علنية. وكانت ترى أن هذه الأنظمة متحالفة ضد العالم الثالث بما فيه الدول العربية وحركة تحرير فيتنام¹¹. ويذهب شهابي إلى أن أيديولوجية منظمة مجاهدي خلق تجمع بين الإسلام والماركسية¹². وبعد أن بدأت المنظمة حرب العصابات ضد نظام الشاه، أسست قيادتها علاقات بمنظمة التحرير الفلسطينية، وبخاصة حركة فتح، التي كانت أقرب أيديولوجياً إلى المجاهدين وتتمتع بقدرات عسكرية¹³. أرسلت اللجنة المركزية لمجاهدي خلق أعضاءها البارزين إلى قطر ودبي في آذار/ مارس 1970 للقاء مندوبي منظمة التحرير الفلسطينية¹⁴. وتمكّنوا من لقاء مسؤولي حركة فتح وإجراء مناقشات أيديولوجية. وبعد إيضاح موقفهم المناهض للصهيونية ومعتقداتها الأيديولوجية، وافقت حركة فتح على عقد مزيد من المباحثات مع الناشطين الإيرانيين في بيروت وعمّان. ووصل مندوبو مجاهدي خلق إلى الأردن من بيروت في ربيع 1970، وعقدوا اجتماعات عدة مع «أبو حسن»¹⁵، أحد مسؤولي حركة فتح، واتفق الطرفان على أن تُدرّب حركة فتح أعضاء المنظمة على حرب العصابات.

وفي أواخر ستينيات القرن العشرين، انتقل عدد من الكوادر الأكثر راديكالية في الجبهة الوطنية الإيرانية¹⁶ إلى بيروت، وأنشؤوا علاقات وثيقة بناشطين فلسطينيين¹⁷. وأعلن أعضاء من الجبهة الوطنية في بيروت

8 ينظر: علي أكبر صفائي فراهاني، "آن چه يك انقلابی باید بداند" [ما يجب أن يعرفه الثوري].

9 أستاذ العلاقات الدولية والتاريخ في مدرسة فريدريك س. باردي للدراسات العالمية في جامعة بوسطن. ولد في طهران، ويحمل الجنسيين الإيرانية والألمانية.

10 H.E. Chehabi (ed.), *Distant Relations: Five Centuries of Lebanese- Iranian Ties* (London: I.B. Tauris, 2006), p. 188.

11 Ibid., p. 99.

12 Ibid., p. 92.

13 موسسه مطالعات و پژوهش های سیاسی، سازمان مجاهدين خلق پيدايي تا فرجام (1344-1384) [منظمة مجاهدي خلق: من النشوء وحتى النهاية 1965-2005] [طهران: موسسه مطالعات و پژوهش های سیاسی، 1389 (2010)]، ص. 395.

14 المرجع نفسه، ص. 397.

15 أبو حسن سلامة (علي حسن سلامة) قيادي في حركة فتح ومنظمة أيلول الأسود. كان يُلقب بالأمير الأحمر، وقاد العمليات الخاصة ضد المخابرات الإسرائيلية في العالم من لبنان، وافتتته المخابرات الإسرائيلية في لبنان في عام 1979.

16 حزب الجبهة القومية الإيرانية (جبهة ملّان) هي حركة سياسية في إيران، أسّسها في عام 1944 محمد مصدّق، رئيس وزراء إيران الذي استمر في منصبه حتى تعرّضه للانقلاب سنة 1953 بدعم من المخابرات الأميركية.

17 Chehabi, p. 189.

تأسس منظمات الجبهة الوطنية الإيرانية في الشرق الأوسط¹⁸. ومنذ عام 1971، أصدر أعضاء الجبهة صحيفة **باختر إمرور**¹⁹ [أي الغرب اليوم] باللغة الفارسية ونسخة باللغة العربية اسمها **إيران الثورة**²⁰. وكانت صحيفة **باختر إمرور** تُطبع في سبعينيات القرن الماضي في المطابع الفلسطينية في لبنان. وتمثلت الأنشطة الرئيسية لهذه الصحف والنشرات الإعلانية في الترويج للعلاقات بين المعارضة الإيرانية والحركات الثورية الأخرى، وخاصة الناشطين الفلسطينيين.

إضافة إلى الحركات التي تبنت حرب العصابات، كان هناك العديد من المنظمات الطلابية الإيرانية المناهضة للإمبريالية والصهيونية ومؤيدة للفلسطينيين بصورة لافتة. وفي عام 1962، اندمجت منظمات طلابية إيرانية في أوروبا والولايات المتحدة الأميركية، وأسست الاتحاد العالمي للطلاب الإيرانيين الذي دعم قضايا عديدة في العالم الثالث، وأيد العديد من الحركات الطلابية المناهضة للإمبريالية وحركات التحرر الوطني الطلابية في العالم الثالث، وخاصة حركة الطلاب الفلسطينيين. وحملت رسائل الاتحاد العالمي للطلاب الإيرانيين وبياناته مشاعر تأييد قوية للفلسطينيين ومشاعر معادية للصهيونية إلى الجمهور الإيراني، بمن فيهم جماعات معارضة إيرانية ورجال دين²¹.

ثانياً: إسلاميو إيران ما قبل الثورة والقضية الفلسطينية

قبل النظر في علاقات الشخصيات الإسلامية ما قبل الثورة بالقضية الفلسطينية، أودّ أن أوضح كيف فسّر بعض الثوار الإسلاميين القضية الفلسطينية وتناولوها في خطابهم. فبعد إنشاء دولة إسرائيل في عام 1948 بفترة قصيرة، شجّب آية الله كاشاني، وهو شخصية دينية مشهورة معروفة بمعارضتها للاستعمار البريطاني، هذه الخطوة، وشدّد على دعمه للفلسطينيين²²، وأصدر في شتاء 1947 أول بيان له يتناول المسألة الفلسطينية، ونص على: سيشكل تأسيس النظام الصهيوني منبعاً للفساد بالنسبة إلى المسلمين في الشرق الأوسط والعالم بأسره، ولن يقتصر الضرر على العرب الفلسطينيين فحسب. لذلك، على المسلمين كافة العمل ما في وسعهم لإيقاف مثل هذا الطغيان ضدّ المسلمين الفلسطينيين²³.

بعد ذلك، دعا كاشاني إلى تظاهرات شعبية دعماً للفلسطينيين، واستجاب لدعوته نحو ثلاثين ألف إيراني احتشدوا في ربيع 1948 في مسجد سلطاني في طهران (الذي سُمّي لاحقاً مسجد الإمام الخميني)، واحتجوا على إنشاء دولة إسرائيل. وواظب كاشاني على دعوة الشعب الإيراني إلى دعم المقاتلين الفلسطينيين بالمال في نضالهم ضدّ إسرائيل²⁴. وبعد فترة قصيرة من اعتراف الحكومة الإيرانية بدولة إسرائيل بحكم الواقع في آذار/ مارس 1950 وافتتاح قنصلية لها في القدس، شجّب كاشاني القرار قائلاً: «تحظى الحكومة الإسرائيلية بدعم اليهود الأميركيين والألمان والفرنسيين. وبات قتال اليهود إلزامياً. ونحن الإيرانيون، سنتمرد على الرغم

18 Ibid.

19 كانت صحيفة **باختر إمرور** المسائية الوسيلة الإعلامية الناطقة "غير الرسمية" باسم الجبهة الوطنية، وقد أطلقت حملة تحثّ على تأميم شركة النفط الإنكليزية الإيرانية. وقد أسسها الدكتور حسين فاطمي، أحد مؤسسي الجبهة الوطنية إلى جانب الدكتور محمد مصدق.

20 Chehabi, p. 189.

21 Ibid., p. 132.

وجّه الاتحاد العالمي للطلاب الإيرانيين رسالة خاصة إلى آية الله الخميني يعبر فيها عن دعمه لنضال رجال الدين في إيران ضدّ الصهيونية والاستعمار والقمع الداخلي.

22 Khair El-Din Haseeb (ed.), *Arab-Iranian Relations* (London/ New York: I.B Tauris & Co LTD, 1998), p. 351.

23 سيد عباس رضوي، "علماء شيعه و حمايت فقهي و سياسي از فلسطين" [رجال الدين الشيعة والفقهاء الإسلاميين والدعم السياسي لفلسطين]، **بايگانه اطلاع رساني حوزه**، العدد 78 (أذر 1381 [خريف 2002])، شوهد في 2021/9/30، في: <https://bit.ly/3tK5iTI>

24 محمد حسن رجبى، "درنگی بر مجاهدت های آیت الله سيد ابوالقاسم كاشانى" [نظرة على نضال آية الله كاشاني]، مركز اسناد انقلاب اسلامي (صيف 2008)، شوهد في 2021/9/30، في: <https://bit.ly/3iNp0to>

من اعتراف الحكومة بإسرائيل، وقد أسّسنا منظمة لقتال اليهود الإسرائيليين»²⁵. وحملت الاحتجاجات، التي قادها كاشاني ونظّمها، مصدّق على سحب الاعتراف بإسرائيل في عام 1951²⁶.

واشتهر أيضًا آية الله طالقاني، وهو رجل دين ثوري آخر معروف، بخطابه المعادي للإمبريالية واهتماماته الاجتماعية السياسية ودوره النشط في تعبئة الجماهير الإيرانية في أثناء الثورة الإسلامية. وبسبب أنشطته الثورية، جرى وضعه تحت مراقبة منظمة المخابرات والأمن القومي (سافاك) في خمسينيات القرن العشرين وستينياته، وواجه التهديد بالاعتقال حتى انتصار ثورة 1979. وتزامن إطلاق سراحه المؤقت في عام 1967 مع الحرب العربية - الإسرائيلية التي تكبّدت فيها الدول العربية هزيمة عسكرية. ووفقًا لوثائق منظمة سافاك، تصاعد اهتمام آية الله طالقاني بالقضية الفلسطينية معبرًا عن دعمه لها سرًا وعلانية؛ فألقى، على سبيل المثال، خطابًا عاطفيًا داعمًا للشعب الفلسطيني خلال احتفال ديني بعيد الفطر في مسجد هدايت²⁷ في طهران في عام 1967. وفي ختام خطبته، أخرج، في لفتة رمزية، مبلغًا من المال من جيبه، وخاطب الحشد قائلاً «سأدفع زكاتي إلى الشعب الفلسطيني»²⁸. فألهمت هذه المبادرة الحشد للاقتداء به والتبرّع بزكاتهم إلى القضية الفلسطينية.

انتقلت أفكار آية الله طالقاني المؤيدة للقضية الفلسطينية إلى رجال دين ثوريين آخرين وشخصيات إسلامية أخرى. فوضع آية الله مرتضى مطهرّي²⁹، وهو عالم دين إسلامي بارز وأحد كبار منظري الثورة الإسلامية الأساسيين، القضية الفلسطينية في إطار إسلامي وطرّحها على الشعب الإيراني ضمن هذا السياق. ويرى مطهرّي أن الالتزام الأخلاقي الذي يقع على عاتق الشعب الإيراني بتقديم المعونة إلى المظلومين وبخاصة شعب فلسطين غير مشروط ولا يتطلّب أن يلتمس المظلومون المساعدة³⁰.

لم يكن رجال الدين في إيران هم وحدهم من ناهض الإمبريالية والصهيونية من بين أوساط المتديّنين، فقد تعهّدت شخصيات ثورية وملتزمة من غير رجال الدين، مثل [المؤرخ وعالم الاجتماع] علي شريعتي و[الكاتب والناشط] جلال آل أحمد، بالتزامات ثورية مماثلة. ويشتهر شريعتي، وهو أحد أكثر المفكرين تأثيرًا في الثورة الإسلامية، بمناصرة حركات العالم الثالث في معركتها ضد الإمبريالية³¹، ولا تزال تعاليمه ملموسة لدى شرائح المجتمع الإيراني كلّها. ساوى شريعتي بين الصهيونية والشر من خلال التركيز على المفهوم الإسلامي «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»، بوصفه مسؤولية اجتماعية³². وعلى نحو مماثل، زعم أيضًا أن النضال ضد الإمبريالية العالمية والدكتاتورية والاستعمار من تجلّيات النهي عن المنكر³³. ويذهب، في قراءته للتاريخ المعاصر، وبخاصة في تحديد مشكلات العالم الثالث، إلى أن المعلومات التي تتناول حركات التحرّر أو الحركات

25 Hamidreza Dehghani, "Iran's Role in Opposition to the Partition of Palestine," *The Iranian Journal of International Affairs*, vol. 24, no. 3 (Summer 2009), p. 71.

26 Ibid., pp. 71 - 72.

استأنف نظام الشاه، في إثر سقوط حكومة مصدّق في عام 1953، علاقاته مع إسرائيل، وأرسل ممثلًا جديدًا إليها في عام 1957.

27 مسجد هدايت هو مسجد في طهران. اضطلع هذا المسجد بدور رئيس في الحركات الثورية الدينية الإيرانية ضد نظام بهلوي. وقد بنى هذا المسجد آية الله محمود طالقاني وأشرف على إدارته. وكان هذا المسجد أكثر المساجد احتضانًا للأنشطة الثورية حينذاك.

28 Dehghani, p. 19.

جمع آية الله طالقاني زكاة الإيرانيين وقدمها لمنظمة التحرير الفلسطينية عن طريق القنصلية المصرية في طهران.

29 لمزيد من المعلومات عن آية الله مطهرّي، ينظر Mahmood T. Davari, *The Political Thought of Ayatollah Muttahhari: An Iranian Theoretician of the Islamic State* (London: Routledge Curzon, 2005). كان مطهرّي فقيهًا بارزًا عرف بأنه أحد "منظري الحكم الإسلامي" في إيران، وأحد مهندسيه الرئيسيين.

30 Ibid., p. 97.

31 Brad Hanson, "The 'Westoxication' of Iran: Depictions and Reactions of Behrangi, al-e Ahmad, and Shariati," *International Journal of Middle East Studies*, vol. 15, no. 1 (February 1983), p. 14.

32 Ali Rahnama, *An Islamic Utopian: A Political Biography of Ali Shariati* (London: I.B. Tauris, 1997), p. 306.

33 Ibid.

الوطنية تشوّهت في أوروبا بفعل المصالح الخفيّة لأنصار «الصهيونية والرأسمالية والفاشية والشيوعية»³⁴. ومن ثم، ووفقاً لـ [للمؤرخ وأستاذ الاقتصاد في الجامعة الأميركية في باريس] علي رهنما، كان شريعتي يعتقد أن نضال شعوب العالم الثالث بقي مجهولاً في باقي أرجاء العالم³⁵.

علاوة على ذلك، يعرض شريعتي أوجه الشبه بين الصهيونية والعنصرية. وقد خصّص، في إعادة قراءته للهوية الإسلامية الإيرانية، جزءاً من تحليله لمناقشة النزعة القومية، وذهب إلى أن الفهم الغربي لها نجم عن مشاعر العنصرية ومعاداة السامية المتفشية، ما أفضى، في نهاية المطاف، إلى ظهور الصهيونية بوصفها ردّ فعلٍ دفاعياً³⁶. وذهب أيضاً إلى أن الصهيونية حفّزت النزعة القومية العربية في المجتمعات المسلمة³⁷. بعبارة أخرى، يرى شريعتي الصهيونية مصدرًا لنشوء المفهوم الغربي للنزعة القومية في الدول الإسلامية، وكان يؤمن بأن الإمبريالية الغربية والصهيونية شكّلتا «جبهة موحّدة» ضد المسلمين³⁸.

لا تكتمل مناقشة أسباب دعم القضية الفلسطينية في إيران قبل الثورة ومرحلة تطوّرها، من دون التركيز على آية الله الخميني، الذي سطع نجمه في عام 1963 إثر شجبه علانية نظام الشاه. لقد أولى الخميني، في مستهلّ مسيرته السياسية، القضية الفلسطينية اهتماماً كبيراً، وتناولها بوضوح في تصريحاته العلنية. ويصحّ القول إن فلسطين تشغل منزلة خاصة في قراءته للقرآن الكريم بوصفها معقل المسلمين، ويفترض وصفه لفلسطين بـ «أرضنا» علاقة اجتماعية دينية وثيقة بين المسألة الفلسطينية وإيران المسلمة. وبكلمات أخرى، تترتّب التزامات أخلاقية على المسلمين الإيرانيين لدعم فلسطين والدفاع عنها.

يعرّف الخميني دولة إسرائيل بأنها عميلة للولايات المتحدة وبريطانيا والقوى الأجنبية الأخرى، وأداة للإمبريالية تستخدمها في اختراق العالم الإسلامي، وتقسيمه إلى مجموعتين (إلى ظالمين ومظلومين) من جهة، وينتقد حكّام الدول الإسلامية بشدّة على غياب الوحدة في ما بينهم لمقاومة عملاء الإمبريالية، ووقوفهم، من ثم، في صف الظالمين³⁹، من جهة أخرى. وتتجاوز المسألة الفلسطينية، بحسب الخميني، الحدود الوطنية، إذ هي قضية مهمّة لجميع المسلمين بحسب تعاليم القرآن. وفي رسالته الأولى إلى مسلمي العالم المجتمعين بمناسبة الحج في مكة في السادس من شباط/فبراير 1971، شدّد الخميني على أهمية المسألة الفلسطينية قائلاً: أولوا اهتمامكم لتحرير أرض فلسطين الإسلامية من قبضة الصهيونية، عدو الإسلام والإنسانية. ولا تتردّدوا في مساعدة الرجال الذين يناضلون لتحرير فلسطين والتعاون معهم⁴⁰.

شاطر عدد كبير من علماء الدين المسلمين والناشطين المتديّنين والمجموعات المرتبطة بهم، الخميني التزامه القومي بمحنة فلسطين. على سبيل المثال، أصدر المرجع الشيعي البارز، آية الله العظمى محمد حسين المرعشي النجفي، في عام 1967 فتوى تحرّم تعامل المسلمين مع إسرائيل، وتهيب بهم جميعاً دعم فلسطين بجميع السبل⁴¹. وتعكس أفكار الجماعات الإسلامية الإيرانية والشخصيات الدينية البارزة المؤيدة لفلسطين قبل الثورة إيماناً وأيديولوجيات دينية تتطلّب دعم الفلسطينيين المضطهدين ومقاومة الاحتلال الإسرائيلي.

34 Ibid., p. 112.

35 Ibid.

36 Ibid.

37 Ibid.

38 Ibid., p. 206.

39 Ibid., pp. 47 - 49.

40 Ibid., pp. 95 - 96.

ثالثاً: علاقات إيران بفلسطين في العقد الأول من الثورة الإسلامية

انطلاقاً من الأفكار الإسلامية للمرجعيات الشيعية، آية الله الخميني وآية الله كاشاني وآية الله طالقاني، ومفهوم العالم الثالث لدى علي شريعتي، إضافة إلى مناهضة الإمبريالية لدى الحركات اليسارية الإيرانية، عرّفت مجموعة واسعة من الثوار الإيرانيين الناشطين الثورة بأنها ثورة المظلومين على الظالمين. وخلص الذين قاوموا نظام الشاه إلى أن معضلتهم كانت نتيجة لظاهرة عالمية أوسع تتجلى أبرز مظاهرها في الصهيونية والإمبريالية الأميركية. ولذلك، اعتقد الثوار الإيرانيون بأن الثورة الإسلامية تُصان فعلياً بهزيمة التهديد الثنائي الذي تمثله الصهيونية والإمبريالية، وخاصة في المنطقة. وأجمع الثوار الإيرانيون ضمناً على أن نصرهم سيحفّز الحركات التي تحمل فكرًا مشابهًا في المنطقة بأسرها. واستلهم الأتباع المتحمسون لآية الله الخميني وللمرجعية الشيعية، بوجه خاص، من التعاليم الإسلامية أن عليهم قيادة المقاومة ضد الظالمين، وبخاصة [سكان] الدول الإسلامية. ولذلك، لم يكن مفاجئاً أن تصبح القضية الفلسطينية محور اهتمام إيران الثورية.

بعد بضعة أيام من انتصار الثورة في إيران في شباط/ فبراير 1979، كان ياسر عرفات، رئيس منظمة التحرير الفلسطينية، أول زعيم أجنبي يزور طهران في زيارة غير معلنة في 17 شباط/ فبراير 1979⁴²، واستقبله الثوار الإيرانيون بوصفه بطلاً وطنياً، وسلّموه مفاتيح البعثة الدبلوماسية الإسرائيلية في طهران. وفي مبادرة رمزية، رفع الثوار الإيرانيون العلم الفلسطيني في المقر الذي لا تزال تشغله السفارة الفلسطينية حتى يومنا هذا، وكان ذلك إنجازاً مهماً لقيادة منظمة التحرير الفلسطينية، إذ تزامن مع مغادرة مصر معسكر مناهضة إسرائيل وتوقيعها اتفاقية كامب ديفيد. وكما ذهب [الكاتب والأكاديمي الإسرائيلي المولود في الولايات المتحدة، والمتخصص في شؤون الإرهاب والشرق الأوسط] باري روبن، إلى أن نصر الثورة الإسلامية في إيران ومقر الدافع لمنظمة التحرير الفلسطينية: فإذا تمكّن آية الله الخميني من الارتقاء من غياهب التخفي والمنفى، ليتغلب على عدو كان يبدو أنه لا يقهر إذ كانت الولايات المتحدة قد نصّبته وتحالف معها، فإن عرفات اعتقد أن في إمكانه سلوك المسار عينه. وعلى نحو مشابه، فتسليم مفاتيح السفارة الإسرائيلية السابقة في طهران إلى وفد منظمة التحرير الفلسطينية قدّم دفعة كبيرة للروح المعنوية لدى الفلسطينيين: «بعد أكثر من عقدين من النضال، كان ذلك المقر هو العقار الإسرائيلي الأول الذي يستولي عليه عرفات»⁴³.

كمنت الاستراتيجية الأهم التي اعتمدها الخميني في تحويل النضال الفلسطيني إلى قضية إسلامية وتدويل المسألة الفلسطينية بما يتجاوز الأراضي العربية، وهي استراتيجية تبنّتها الحركات الإسلامية الأقدم مثل جماعة الإخوان المسلمين التي أسّست في مصر في عام 1928. وفي 7 آب/ أغسطس 1979، أعلن الخميني آخر جمعة من شهر رمضان المبارك يوماً عالمياً للقدس: «يوم القدس».

إلا أن شهر العسل بين عرفات وجمهورية إيران الإسلامية لم يدم طويلاً؛ فقد ألقّت حادثتان رئيستان بظلالهما على العلاقات بين الجمهورية الإسلامية وقيادة منظمة التحرير الفلسطينية، هما: أزمة الرهائن الأميركيين⁴⁴ في تشرين الثاني/ نوفمبر 1979 والحرب الإيرانية - العراقية (1980-1988). وأطلقت عملية الاستيلاء على السفارة شرارة أزمة دولية استمرت 444 يوماً. اتّصلت قيادة منظمة التحرير الفلسطينية، في تلك الفترة

42 Bassam Abu Sharif, *Arafat and the Dream of Palestine: An Insider's Account* (Basingstoke: Palgrave Macmillan, 2009), p. 63.

43 Barry Rubin, *Yasir Arafat: A Political Biography* (London: Continuum, 2003), pp. 83 - 84.

44 أزمة الرهائن في إيران هي أزمة دبلوماسية اندلعت بين إيران والولايات المتحدة عندما اقتحمت مجموعة من الطلاب الإسلاميين في إيران، يراوح عددهم بين 400 و500 طالب، مقر السفارة الأميركية وسط طهران دعماً للثورة الإيرانية، واحتجزوا 52 دبلوماسياً أميركياً من موظفي السفارة بوصفهم رهائن لمدة 444 يوماً من 4 تشرين الثاني/ نوفمبر 1979 حتى 20 كانون الثاني/ يناير 1981. وطالبوا بتسليم محمد رضا بهلوي الشاه الذي تمّت إطاحته قبل أشهر، وكان يخضع للعلاج في الولايات المتحدة. وكان أن قطعت الولايات المتحدة علاقاتها الدبلوماسية بإيران عام 1980، وفرضت عليها حظراً تجارياً. ولا تزال العلاقات بين الطرفين مجمدة منذ ذلك التاريخ.

العصيبة بالنسبة إلى إدارة [الرئيس الأميركي جيمي] كارتر، بالمسؤولين الأميركيين معرفة عن رغبتها في التوسط بين طهران وواشنطن والمساعدة في الإفراج عن الرهائن. ووفقاً لراسل ليه موسس Russel Leigh Moses [الباحث في الشؤون الآسيوية]، وصل وفد ثلاثي رفيع المستوى من المنظمة إلى طهران لمناقشة أزمة الرهائن مع المسؤولين الإيرانيين بعد الحصول على الضوء الأخضر من واشنطن⁴⁵. وعلى الرغم من زيارة كبار مسؤولي المنظمة، ومنهم أبو جهاد، سفارة الولايات المتحدة الأميركية في طهران، لم يسمح لهم بدخول المقر بوصفهم وسطاء. ووفقاً لكريس أيوانيديس Chris P. Ioannides، رفض الخميني استقبال أبو الوليد [أو سعد صايل]، المندوب الخاص لمنظمة التحرير الفلسطينية، وشجب الطلاب الناشطون مساعي الوساطة التي تقوم بها المنظمة⁴⁶. وبعد إخفاق عرفات في إقناع قيادة الثورة الإسلامية بتحرير الرهائن، تخلت قيادة المنظمة عن سعيها لأداء دور الوسيط.

1. الحرب الإيرانية - العراقية (1980-1988) وتداعياتها على العلاقات بين إيران ومنظمة التحرير الفلسطينية

شنت القوات المسلحة العراقية بقيادة البعثية غزواً واسع النطاق على إيران في أواخر أيلول/ سبتمبر 1980، ودامت الحرب ثماني سنوات. وسارع عرفات إلى التوسط بين الطرفين، بعد أن أدرك مباشرة تقريباً، الأثر المدمر المحتمل لتلك الحرب في «الجبهة المعادية لإسرائيل»، و[توقع] إمكانية تراجع القضية الفلسطينية إلى المرتبة الثانية في المنطقة. ووفقاً [لمستشار الشؤون الدولية لخامنئي السياسي والطبيب الإيراني] علي أكبر ولايتي، اقترحت منظمة التحرير الفلسطينية خريطة طريق تطالب النظام العراقي بسحب قواته المسلحة من الأراضي الإيرانية المحتلة فوراً وتأجيل نزاعه على الأرض مع إيران. في المقابل، كان مطلوباً من إيران القبول بمفاوضات ثنائية مع العراق لتسوية نزاعاتهما.

علاوة على ذلك، كان يجب عقد المفاوضات الثنائية المقترحة في بلد محايد⁴⁷. وعلى الرغم من المحادثات المكثفة، غادر عرفات طهران خالي الوفاض، بعد أن أخفق في إقناع الإيرانيين بالموافقة على وقف فوري لإطلاق النار. وأدى فشل جهود الوساطة إلى تغيير سياسات منظمة التحرير الفلسطينية التي كانت تفضل إيران، فباتت تميل أكثر نحو النظام البعثي من جهة، في حين فقدت قيادة الجمهورية الإسلامية ثقتها ببنيات منظمة التحرير الفلسطينية من جهة أخرى. ومع استمرار الحرب بين إيران والعراق، انهار عرفات جهازاً إلى العراق البعثي، وعقد اجتماعات منتظمة مع المسؤولين العراقيين في بغداد بشأن الحرب والشؤون العربية. وفي عام 1984، دعم صدام حسين زيارات عرفات إلى مصر التي جرى عزلها منذ توقيع اتفاقيات كامب ديفيد. وفي الحقيقة، دعمت بغداد جهود عرفات لإعادة مصر إلى «الحلف العربي الجديد»⁴⁸. وفي نيسان/ أبريل 1984، شدد عرفات علناً على دعم منظمة التحرير الفلسطينية للعراق في نضاله «العادل» «للدفاع» عن أرضه وسيادته وتحقيق «سلام عادل»⁴⁹.

شكلت الحرب الإيرانية - العراقية معياراً لقياس دعم إيران الأيديولوجي للقضية الفلسطينية، وصورت قيادة الثورة في إيران النظام البعثي في العراق بوصفه متواطئاً مع الصهيونية وأداة للإمبريالية الأميركية في

45 Rubin, p. 45.

46 Chris P. Ioannides, "The PLO and the Islamic Revolution in Iran," in *The International Relations of the Palestine Liberation Organization*, ed. Augustus R. Norton and Martin Harry Greenberg, (Southern Illinois University Press, 1989), p. 84.

47 علي أكبر ولايتي، *جمهورية إسلامي إيران و تحولات فلسطين 1357 - 1385* [الجمهورية الإسلامية الإيرانية وقضية فلسطين]، (وزارت امور خارجه 1387 [2008])، ص 42.

48 خدمة استخبارات البث الأجنبي، "صدام حسين يناقش زيارة عرفات إلى القاهرة"، إذاعة صوت الجماهير من بغداد، 1984/1/7.

49 خدمة استخبارات البث الأجنبي، "صدام حسين يستقبل ياسر عرفات"، وكالة الأنباء العراقية من بغداد، 1984/4/26.

مواجهة الثورة الإسلامية. وقدّم الخميني وأتباعه الحرب بوصفها نتيجة مباشرة لتآمر الصهيونية مع حزب البعث، وكان ذلك يصبّ في مصلحة الدولة وجهودها اليائسة لحشد الدعم في العالم العربي لرؤيتها الإقليمية. ومن وجهة نظر الخميني، كانت الحرب الإيرانية - العراقية نتيجة لمؤامرة ارتكبتها الصهاينة والإمبرياليون والبعثيون ضد المبادئ الإسلامية للثورة في إيران.

ويرى [أستاذ شؤون الأمن القومي جودت] بهجت، أن الخلاف بين إيران ومنظمة التحرير الفلسطينية تبيّن أنه كان عميقاً. وخصّص إلى استنتاجين صحيحين: أوّلهما حرص الجمهورية الإسلامية الدائم على التمييز بين عموم الشعب الفلسطيني من جهة، وعرافات وكبار مساعديه من جهة أخرى، وثانيهما أن العلاقات المضطربة بين طهران وعرافات لم تُفضّ إلى علاقات أفضل بين إيران وإسرائيل (لذا كانت كل مسألة منفصلة عن الأخرى)⁵⁰. ويرى بهجت أن معارضة إيران الشديدة لإسرائيل قائمة على اعتبارات أيديولوجية واستراتيجية في آن معاً. فمن الناحية الأيديولوجية، ترى الجمهورية الإسلامية القضية الفلسطينية صراعاً بين الإسلام وقوى الطغيان في العالم، أي الصهيونية والإمبريالية الأميركية تحديداً. ويتضمّن هذا التصوّر مسألتين، الأولى أن العداء لإسرائيل ومقاومة أي طروحات سلام تعترف بشرعية إسرائيل، يعزّزان الشرعية السياسية للجمهورية الإسلامية.

لذلك، لا يملك عرفات، ولا أي زعيم آخر، حق التخلي عن «إنش واحد من أرض المسلمين في فلسطين»⁵¹. ومن الناحية الاستراتيجية، ترى الجمهورية الإسلامية في خطط السلام أدوات سياسية تخدم الحكومة الأميركية عن طريق تعزيز هيمنتها على المنطقة⁵². وتشير شيرين هنتر إلى أن القومية العربية واعتماد عرفات مالياً على دول الخليج كانا السببين الرئيسيين اللذين دفعا منظمة التحرير الفلسطينية إلى تأييد العراق ضد إيران، ولكنها تسلّم بأن الأخيرة ميّزت بين عرفات والشعب الفلسطيني. وعلى الرغم من الأفعال التي قامت بها منظمة التحرير الفلسطينية، فإن طهران سمحت لها بالحفاظ على سفارتها في طهران، وكرّست إحياء الذكرى السنوية ليوم القدس، وواصلت دعمها للقضية الفلسطينية⁵³. وعلاوة على ذلك، تذهب [الأكاديمية الإيرانية] إلهي روستامي بوفي أيضاً إلى أن الجمهورية الإسلامية أبقّت على سياستها المؤيدة للفلسطينيين ودعمت علانية الجماعات الفلسطينية الإسلامية كحركتي حماس⁵⁴ والجهاد الإسلامي⁵⁵، على الرغم من أن دعم عرفات لنظام صدام قوّض علاقات إيران بمنظمة التحرير الفلسطينية.

2. علاقات إيران بالحركات الفلسطينية في فترة ما بعد الحرب الإيرانية - العراقية: حركة

الجهاد الإسلامي الفلسطيني، فصل جديد في النضال الفلسطيني

كان ظهور حركة الجهاد الإسلامي الفلسطينية وعقيدتها السياسية في مطلع ثمانينيات القرن العشرين موضوعاً مثيراً للاهتمام، ولا سيما في ضوء تأثيرها في الحياة السياسية الفلسطينية. فقد أسّس فتحي الشقاقي حركة الجهاد الإسلامي في مطلع ثمانينيات القرن العشرين، وفي نشأته كان متأثراً كثيراً بأفكار الوحدة العربية التي أبعدها، على حدّ وصفه، عن التأثير بالاشتراكية. فبعد أن تملكه شعور بالفقدان في أعقاب

50 Gawdat Bahgat, *Israel and the Persian Gulf: Retrospect & Prospect* (Gainesville, FL: University Press of Florida, 2008), p. 42.

51 Ibid., p. 43.

52 Ibid.

53 Shireen Hunter, *Iran and the World: Continuity in a Revolutionary Decade* (Bloomington: Indiana University Press, 1990), p. 127.

54 حركة المقاومة الإسلامية تعرف اختصاراً بحماس.

55 Elaheh Rostami-Povey, *Iran's Influence* (London: Zed Books, 2010), p. 159.

هزيمة 1967، كان طبيعياً أن يتوجّه نحو الإسلام⁵⁶. وكانت الفترة 1974 - 1981، التي أقام خلالها الشقّاق في مصر، الفترة الأهم بالنسبة إلى الحركة الإسلامية الفلسطينية. وفي مصر، سلك الشقّاق وأتباعه مساراً مستقلاً عن الإخوان المسلمين، وأسّسوا نواة الحركة الإسلامية الفلسطينية في جامعة الزقازيق. وبحلول عام 1980، وضعت أول مجموعة مكوّنة من 60 عضواً فلسطينياً في مختلف جامعات مصر، بإشراف الشقّاق، حجر الأساس لحركة الجهاد الإسلامي في قلب غزة والضفة الغربية⁵⁷.

في ظل الإحباط من الإخوان وانتصار الثورة الإسلامية في إيران، ألّف الشقّاق كتاباً بعنوان **الخميني: الحل الإسلامي والبديل** نشرته مجلة **المختار الإسلامي** الشهرية الموالية لطهران. ويرى [أستاذ الدراسات الإسلامية والشرق أوسطية في الجامعة العبرية] مائير هاتينا، أن الشقّاق وصف الثورة الإسلامية في كتابه بأنها «نموذج تاريخي فريد لثورة إنسانية»، وأشاد بأية الله الخميني⁵⁸. وألّف كتابه **الثاني السنة والشيعية: ضجة مفتعلة** الذي نشرت طبعته الأولى في مجلة **المختار الإسلامي** في عام 1982 في القاهرة، انتقد فيه بشدة اللغة المذهبية، وأكد على وحدة المسلمين في مواجهة الاحتلال الإسرائيلي لفلسطين⁵⁹. وأصبحت كتب الشقّاق بمنزلة التعليمات الأيديولوجية لكثير من أعضاء حركة الجهاد الإسلامي.

أسّس الشقّاق في عام 1981 «سرايا القدس»، التي أصبحت الجناح العسكري للحركة⁶⁰. ومنذ البداية، نفذت سرايا القدس عمليات كفاح مسلح في سائر الأراضي المحتلة، وواجهت جيش الدفاع الإسرائيلي بانتظام. واضطلعت الحركة بدور مهم في إطلاق شرارة الانتفاضة الفلسطينية [التي بدأت في كانون الأول / ديسمبر 1987]⁶¹.

في إثر اندلاع الانتفاضة، أصبحت خلايا الجهاد الإسلامي أهدافاً رئيسة للإسرائيليين. وتعرّضت شخصيات وقيادات بارزة في الحركة للاعتقال أو النفي، وأبعد الشقّاق و[عبد العزيز] عودة⁶² إلى لبنان في عام 1988. صحيح أن عملية إبعاد قيادة الجهاد الإسلامي أحدثت فراغاً ضمن كوادرها في قطاع غزة، إلا أنها ولدت زخماً جديداً لدى قيادتها التي أصبحت أقرب من جمهورية إيران الإسلامية وحزب الله. ووفقاً لهاتينا، وفي إثر انتقال حركة الجهاد الإسلامي إلى لبنان وسورية، توطّدت علاقات الحركة الأيديولوجية بإيران الثورية، واتّخذت شكل رابطة سياسية وتنظيمية وثيقة⁶³. وتلقّت قيادتها، عن طريق السفارة الإيرانية في بيروت وحزب الله، دعماً لوجستياً، وتمكّنت من استئناف أنشطتها العسكرية ضد إسرائيل انطلاقاً من لبنان.

أتاح الانتقال إلى لبنان فرصاً جديدة لحركة الجهاد الإسلامي التي عانت حملات إسرائيل العسكرية. ورعت إيران، إلى جانب الدعم الكبير الذي قدّمته للانتفاضة، روابط مع قيادة الحركة في المنفى⁶⁴. وأصبح دعم إيران عنصر التمكين الأساسي للجهاد الإسلامي وباقي الفلسطينيين المبعدين إلى لبنان. وأتاح هذا الدعم للحركة بلورة بنية تحتية في لبنان وسورية، اشتمل على المساعدة في بناء معسكرات تدريب وتطوير قدرات عسكرية ونشر أدبيات الحركة⁶⁵. ويذهب هاتينا إلى أن حزب الله، على غرار رعايته

56 Meir Hatina, *Islam and Salvation in Palestine: The Islamic Jihad Movement* (Tel Aviv: The Dayan Centre for Middle Eastern and African Studies, 2001), p. 23.

57 كسرا صادق زاده، شهيد دكتور فتحى شقّاقى [الشهيد د. فتحى الشقّاقى] (طهران: مركز اسناد انقلاب اسلامي، 1389 [2010])، ص 85 - 96.

58 Hatina, p. 24.

59 Ibid., p. 323.

60 لمزيد من المعلومات عن سرايا القدس، ينظر موقعها الإلكتروني: <http://saraya.ps/index.php>

61 لتفاصيل أوفى، ينظر الفصل الثالث من كتاب: Alavi.

62 عيد العزيز عودة داعية وخطيب إسلامي فلسطيني، اضطلع بدور جماهيري في الانتفاضة الفلسطينية من خلال خطاباته من على منبر مسجد الشهيد الإمام عز الدين القسام ضد الاحتلال الإسرائيلي لفلسطين. ويعدّ الشقّاقى وعودة الزعيمين الرئيسيين لحركة الجهاد الإسلامي.

63 Alavi, p. 41.

64 Hatina, p. 110.

65 Ibid.

إيران، كرّس دعمه بأكمله للقضية الفلسطينية، ووضع نفسه إلى جانب الفلسطينيين على جبهات نضال المسلمين ضدّ ظالمهم⁶⁶. وأبقى الشقّاق، خلال فترة إبعاده، على ولائه للثورة الإسلامية في إيران، ووطّد علاقات الجهاد الإسلامي بحزب الله حتى اغتياله في عام 1995. وقد قدّم الشقّاق طرّاً خطاباً جديداً للناشطين الفلسطينيين من خلال تسليط الضوء على المقاومة الإسلامية الثورية بوصفها البديل الأوثق من الخطاب القومي. ومستلهماً الثورة الإسلامية، اعتمدت حركة الجهاد الإسلامي خطاباً المقاومة، وأسبغت عليه صبغة إسلامية عوضاً عن القيم الوطنية أو العلمانية لتمييز نفسها من أشكال المقاومة الأخرى. وكان نشوء حركة المقاومة الإسلامية «حماس» من أهم نواتج عملية إضفاء الطابع الإسلامي هذه. وشجّع ظهور فصائل إسلامية فلسطينية القيادة الإيرانية أكثر على تعزيز موقفها المؤيد للفلسطينيين. ورأت الجمهورية الإسلامية الفصائل الفلسطينية الإسلامية أقرب إلى نظرتها الأيديولوجية من منظمة التحرير الفلسطينية.

3. إيران وحماس (1987-2011): العلاقات الاستراتيجية والقيم المشتركة والخلافات الأيديولوجية

واجهت جماعة الإخوان المسلمين الفلسطينية جملة تحدياتٍ وفرصٍ في الأراضي المحتلة بين عامي 1979 و1987. ودفع انتصار الثورة الإسلامية في إيران في عام 1979، وظهور حركة الجهاد الإسلامي التي أسّسها الشقّاق لاحقاً، الجماعة إلى مراجعة استراتيجيتها السياسية. ووفقاً لعزام التميمي⁶⁷، طرح الأعضاء الأصغر سناً في جماعة الإخوان داخل غزة والضفة الغربية بين عامي 1979 و1981، مستلهمين من نشاطات الجهاد الإسلامي، السؤال الملح التالي: «لماذا لا نشارك في المقاومة العسكرية للاحتلال؟»⁶⁸. وكما ذكر آنفاً، اندلعت الانتفاضة الأولى بعد أن بدأت حركة الجهاد الإسلامي في مواجهة الجيش الإسرائيلي، ومقتل عدد من أعضائها في عام 1987. وبعد هروبهم من سجن غزة المركزي، قُتل أربعة من الهاربين الستة الأعضاء في الجهاد الإسلامي في كمين إسرائيلي. وفي 8 كانون الأول / ديسمبر 1987، اندلعت مظاهرات حاشدة، وانتشر غضب الشعب الفلسطيني في جميع أرجاء الأراضي المحتلة. ووفقاً [للباحث الأكاديمي الفلسطيني] خالد الحروب، اجتمع المكتب السياسي لجماعة الإخوان المسلمين في فلسطين في الليلة التالية في غزة، واتفق على أن ردة فعل الشعب على العدوان الإسرائيلي أكّدت على ضرورة وضع المعركة ضد الاحتلال الإسرائيلي في صدارة الأولويات.

وفي آب / أغسطس 1988، نشرت حماس ميثاقها، الذي أعلنت فيه تطلّعاتها الأيديولوجية والسياسية. والذي يسلط الضوء على استراتيجية الجماعة، ويؤكد تحديداً على أن «فلسطين أرض وقف إسلامي». ويلقي هذا الميثاق الضوء على الأهداف المشتركة بين جمهورية إيران الإسلامية وحماس منذ نشأتها. وفي تشرين الأول / أكتوبر 1991، نظمت إيران سلسلة من المؤتمرات تضامناً مع الانتفاضة⁶⁹. ووفقاً لهاتينا، شاركت شخصيات دينية رفيعة المستوى ووفود لحركات إسلامية أخرى من البلدان العربية والإسلامية، وجرى عقد أهم هذه المؤتمرات في طهران في الفترة 14 - 22 تشرين الأول / أكتوبر 1991، وحضرته حركة الجهاد الإسلامي الفلسطينية وحزب الله وحركة حماس ووفود من 40 بلداً مسلماً، ليسبق مؤتمر مدريد للسلام⁷⁰. وكان حضور

66 Ibid.

67 عزام سلطان التميمي ناشط سياسي وأكاديمي فلسطيني بريطاني، وأحد رموز العمل الإسلامي في بريطانيا.

68 Azzam Tamimi, *Hamas: Unwritten Chapters* (London: Hurst & Company, 2009), p. 44.

69 لمزيد من المعلومات عن المؤتمر الدولي لدعم الانتفاضة الفلسطينية، ينظر: <http://icpalestine.parliran.ir/ar>

70 Hatina, pp. 109 - 110.

حماس علامة بارزة على تطوّر الحوار بين الحركة وإيران⁷¹. وفي الحقيقة، جاءت المبادرة الإيرانية ردّاً على اتفاق مدريد للسلام بين إسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية الذي رأت فيه حماس والجهد محاولة لإضفاء شرعية دولية على وجود إسرائيل.

بعد انتفاضة عام 1987، وجّهت الجمهورية الإسلامية اهتمامها نحو الجهاد الإسلامي وحماس، وسرعان ما أقامت علاقات سياسية مع حماس، ليعقب ذلك اتفاق أوسلو بين منظمة التحرير الفلسطينية وإسرائيل في عام 1993. وعلى الرغم من ترويج منظمة التحرير الفلسطينية لاتفاقيات أوسلو⁷²، شعر الفلسطينيون العاديون بالإحباط من اعتراف المنظمة بالاحتلال الإسرائيلي، فأعرضوا عنها واتّجهوا نحو حماس والجهاد الإسلامي. وبعد عام 1993، واصلت حماس استعراض قوّتها الانتخابية بعد أن هزمت فتح في الانتخابات الطلابية في جامعة النجاح في عام 1996 ثم في عام 1997⁷³. وفي نيسان/ أبريل 1998، زار الشيخ أحمد ياسين جمهورية إيران الإسلامية، وحظي باستقبال من أرفع قياداتها⁷⁴. وخلال هذه الزيارة التاريخية، استقبله المرشد الأعلى آية الله خامنئي الذي أشاد بالمقاومة الفلسطينية ضد إسرائيل. ورأى خامنئي في الشيخ ياسين وأتباعه «الممثلين الحقيقيين للمقاومة الفلسطينية»⁷⁵. وثمّنت القيادة الإيرانية عاليّاً زيارة الشيخ ياسين إلى إيران بعد إطلاق سراحه من السجن، ووجدت فيها مؤشراً على الروابط الوثيقة بين إيران والحركات الإسلامية في فلسطين. وكثّفت جمهورية إيران الإسلامية، منذ ذلك الحين، تصريحاتها الداعمة لحماس ورأت أنها تحرس المقاومة الإسلامية ضد إسرائيل.

رابعاً: انسحاب إسرائيل من جنوب لبنان (2000)، والانتفاضة الفلسطينية الثانية، والانتخابات الفلسطينية (2006)

شكّل عام 2000 نقطة تحوّل في تاريخ المنطقة. فبعد مرور عقدين [على احتلال إسرائيل جنوب لبنان في آذار / مارس 1978 ضمن عملية الليطاني]، وامتنالاً لقرار مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة رقم 425⁷⁶، سحب الجيش الإسرائيلي قواته من جنوب لبنان وحلّ الميليشيات التابعة له⁷⁷. وعزا البعض هزيمة إسرائيل في جنوب لبنان إلى الدعم الإيراني والسوري لحزب الله. وترى [الباحثة اللبنانية] لينا الخطيب، أن تحرير جنوب لبنان في 25 أيار/ مايو 2000 مثّل سابقة لأنها المرة الأولى منذ إنشاء دولة إسرائيل في عام 1948 التي

71 Ibid., p. 110.

72 هي مجموعة من التفاهات بين حكومة إسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية، تضم إعلان المبادئ بشأن ترتيبات الحكم الذاتي الانتقالي (ما يُعرف بعملية السلام واتفاق أوسلو)، وقّعت في واشنطن في عام 1993، في حين وقّعت اتفاقية أوسلو 2 في طابا عام 1995. كان الهدف من اتفاقية أوسلو التوصل إلى معاهدة سلام على أساس قرار مجلس الأمن 242 و338 مبدأ "الأرض مقابل السلام"، وتحقيق "حق الفلسطينيين في تقرير المصير". وقد بدأت عملية أوسلو بعد مفاوضات سرية في مدينة أوسلو، نتج منها اعتراف منظمة التحرير الفلسطينية بدولة إسرائيل واعتراف إسرائيل بمنظمة التحرير بوصفها الممثل الشرعي للشعب الفلسطيني. وقد نجم عن اتفاقيات أوسلو السلطة الفلسطينية التي تقتصر على الإدارة الذاتية لأجزاء من الضفة الغربية وقطاع غزة. واعترفت الاتفاقية بأن منظمة التحرير الفلسطينية باتت شريكاً لإسرائيل في مفاوضات الوضع النهائي بخصوص القضايا العالقة. وأهم هذه القضايا هي الحدود والمستوطنات والقدس، والللاجئون وحق الفلسطينيين في العودة، وقضية الوجود العسكري الإسرائيلي وسيطرته على المناطق الباقية بعد الاعتراف الإسرائيلي بالاستقلالية الفلسطينية. إلا أن اتفاقيات أوسلو لم تؤدّ إلى قيام دولة فلسطينية.

73 Are Knudsen, "Crescent and Sword: the Hamas Enigma," *Third World Quarterly*, vol. 26, no. 8 (2005), pp. 1373 - 1388.

74 Ibid., p. 113.

75 "ديدار شيخ احمد ياسين رهبر مقاومت اسلامي فلسطين" [زيارة الشيخ أحمد ياسين زعيم المقاومة الفلسطينية]، **دفتر حفظ ونشر آثار آيت الله العظمى خامنه اي**، 1377/2/12، في:

<https://bit.ly/2Y4m8kE>

76 أصدر مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة في 19 آذار/ مارس 1978 القرار 425 الذي دعا فيه إلى الانسحاب الفوري للقوات الإسرائيلية من الأراضي اللبنانية، واحترام سلامة لبنان الإقليمية وسيادته ضمن حدوده المعترف بها دولياً. واستجاب لدعوة لبنان لإنشاء قوة مؤقتة للأمم المتحدة تحت إشراف المجلس تعرف بقوة الأمم المتحدة المؤقتة في لبنان (اليونيفيل أو UNIFIL United Nations Interim Force in Lebanon).

77 Imad Salamey, *The Government and Politics of Lebanon* (London: Routledge, 2014), p. 98.

يجري فيها طرد قوات إسرائيلية من أراضٍ عربية «على أيدي جماعة عربية شبه عسكرية»⁷⁸ وأُعقب ابتهاج العرب والمسلمين في المنطقة الخيبة من قمة كامب ديفيد، التي استضافها الرئيس الأميركي بيل كلينتون وحضرها رئيس الوزراء الإسرائيلي إيهود باراك، ورئيس منظمة التحرير الفلسطينية ياسر عرفات، واختتمت في 25 تموز/ يوليو 2000 من دون التوصل إلى اتفاق⁷⁹. وتنامى إحباط الشعب الفلسطيني كثيرًا بسبب إخفاق القمم وفساد السلطة الفلسطينية.

بعد انتصار حزب الله في جنوب لبنان بفترة قصيرة، أدّت الاستفزازات الإسرائيلية إلى اندلاع انتفاضة فلسطينية ثانية. ففي 28 أيلول/ سبتمبر 2000، أسفر اقتحام أرئيل شارون للمسجد الأقصى، ثالث أقدس مكان بالنسبة إلى المسلمين، ترافقه حماية أمنية كثيفة من القوات المسلحة الإسرائيلية، عن اندلاع الانتفاضة الثانية، وتوحيد الفلسطينيين بصورة لم يسبق لها مثيل⁸⁰. وأدرك فلسطينيون كثر عمق مفاوضات السلام، إذ رفض الإسرائيليون الالتزام بعدّة شروط تتطلبها اتفاقيات السلام المؤقتة⁸¹. وبعد فترة قصيرة من اندلاع الانتفاضة الثانية، أبدت إيران وحزب الله دعمهما المعنوي القوي وتضامنها مع انتفاضة الأقصى. وتمخّض مؤتمر القدس الأول، الذي عقد في بيروت في الفترة 28 - 30 كانون الثاني/ يناير 2001، عن تأسيس «مؤسسة القدس» في مقرّها المؤقت في المدينة نفسها⁸². وفي 22 آذار/ مارس 2004، اغتالت القوات المسلحة الإسرائيلية بأمر من أرئيل شارون، الشيخ ياسين. وبعد فترة قصيرة، أعطى شارون في 17 نيسان/ أبريل أمرًا باغتيال الدكتور عبد العزيز الرنتيسي [أبرز قادة حركة حماس]. ووفقًا لعزّام التميمي، رغب رئيس الوزراء الإسرائيلي في ضمان عجز حماس عن تولي زمام الأمور في غزة بعد انسحاب إسرائيل منها في نهاية المطاف⁸³. ودانت الشرائح السياسية كافة في الجمهورية الإسلامية الإيرانية الاغتيال على نطاق واسع.

بدأت إسرائيل في سحب قواتها المسلحة من غزة في 15 آب/ أغسطس 2005، وأتمّت هذه المهمة بحلول 12 أيلول/ سبتمبر 2005، لينتهي احتلال غزة بعد 38 عامًا. واحتفل شعب غزة بقيادة حماس، ونسبوا النصر إلى هزيمة القوة العسكرية الإسرائيلية المتفوّقة. ويرى التميمي أن إخفاق مفاوضات السلام المتكرّرة أكانت اتفاقيات أوسلو، أم خارطة طريق الرئيس الأميركي جورج بوش الابن⁸⁴، أم خطة شارون لفك الارتباط⁸⁵، فقد أثبتت كلها صحّة نهج حماس⁸⁶. وفي 26 كانون الثاني/ يناير 2006، حققت حماس فوزًا ساحقًا في الانتخابات التشريعية. وبعد أن فازت بأول انتخابات ديمقراطية للمجلس التشريعي الفلسطيني، أعلن إسماعيل هنية عن تشكيل حكومة جديدة في آذار/ مارس 2006. وجاء نصر حماس الانتخابي بمنزلة مفاجأة غير سارّة لإسرائيل والولايات المتحدة وفتح⁸⁷. وفي حين رفضت الحكومتان الأميركية والإسرائيلية، ومنظمة التحرير الفلسطينية

78 Ibid., p. 73.

79 Tamimi, p. 198.

80 Ibid., p. 199.

81 Ibid., p. 200.

82 Joseph Alagha, "Hizbullah, Iran and the Intifada," *International Institute for the Study of Islam in the Modern World (IISIM) Newsletter* (Leiden University), vol. 9, no. 2 (2002), p. 35.

83 Tamimi, p. 206.

84 خارطة الطريق هو الاسم الذي أطلق على مبادرة سلام في الشرق الأوسط اقترحها بداية الرئيس الأميركي بوش الابن في حزيران/ يونيو 2002 وتبنّتها لاحقًا اللجنة الرباعية: الولايات المتحدة، والاتحاد الأوروبي، وروسيا والأمم المتحدة. كان هدف المبادرة مباشرة محادثات بين الطرفين للتوصل إلى حل نهائي لتسوية سلمية من خلال إقامة دولة فلسطينية بحلول عام 2005. أعرب رئيس الوزراء الفلسطيني حينها محمود عباس عن قبوله لخارطة الطريق مرغمًا، وعارضها وزراء إسرائيليون من اليمين المتطرّف، وقد أبدى أرئيل شارون تحفظه عليها وأعرب عن قبوله بعض بنودها فحسب. وقد قدمت الحكومة الإسرائيلية 14 تحفظًا عليها.

85 كان فك الارتباط الإسرائيلي عن غزة أحادي الجانب من طرف إسرائيل، ثم تفكّك 21 مستوطنة إسرائيلية في قطاع غزة وإخلاء المستوطنين والجيش الإسرائيلي من داخل قطاع غزة. وكان رئيس الوزراء أرئيل شارون قد اقترح خطة فك الارتباط في عام 2003 واعتمدها الحكومة في حزيران/ يونيو 2004، ووافق عليه الكنيست في شباط/ فبراير 2005 بوصفها قانونًا يتيح تنفيذ خطة فك الارتباط.

86 Tamimi, pp. 206 - 207.

87 Ibid., p. 224.

[فيما بعد]، الاعتراف بالحكومة التي تتأسسها حماس، واصلت إيران مدّ حكومة حماس حديثة العهد بالدعم السياسي والمالي لضمان «إمكانية الوصول» إلى إسرائيل لأسباب ليس أقلها صون أمنها. وفي 8 كانون الأول/ ديسمبر 2006، أعلن إسماعيل هنية، رئيس الوزراء الفلسطيني، أمام آلاف المصلين في صلاة الجمعة التي أقيمت في جامعة طهران في إيران «لن نعترف أبداً بالحكومة الصهيونية الغاصبة، وسنواصل حركتنا الجهادية حتى تحرير القدس»⁸⁸.

خامساً: حرب إسرائيل على غزة (2008/ 2009) وردّة فعل إيران

منذ انتخابات عام 2006، عملت إسرائيل على تصعيد وتيرة حملتها العسكرية المنهجية ضد حكومة حماس، وأخذت تستهدف غزة بانتظام. وارتكبت مجزرة غزة، وهي إحدى أكبر الهجمات العسكرية على غزة قبل الربيع العربي، بين 27 كانون الأول/ ديسمبر و18 كانون الثاني/ يناير 2009⁸⁹، وراح ضحيتها نحو 1400 فلسطيني، وحُرم أكثر من 400000 نسمة من المياه الجارية. وردّاً على هجمات إسرائيل على الفلسطينيين أثناء حرب غزة 2008 / 2009، شنّ أنصار حزب الله ثلاث هجمات على إسرائيل من جنوب لبنان⁹⁰. وجدّير بالذكر أن الحرب على غزة 2008 / 2009 تُعرف في إيران بـ «جنگ ٢٢ روزه» أي حرب الـ 22 يوماً من المقاومة. ودانت إيران بشدّة عمليات القتل في غزة، وانتقدت وقوف الدول العربية المحافظة مكتوفة الأيدي. وردّاً على هجوم إسرائيل على غزة، نظّمت إيران المؤتمر الدولي الرابع لدعم فلسطين يومي 4 و5 آذار/ مارس 2009 في طهران. وعقد المؤتمر تحت شعار «دعم فلسطين مظهر المقاومة، غزة ضحية الجريمة»⁹¹. وبعد حرب غزة، صدّق مجلس الشورى الإسلامي في إيران بالإجماع على قانون إعلان يوم 18 كانون الثاني/ يناير «يوم غزة» في التقويم الرسمي للجمهورية الإسلامية⁹².

سادساً: إيران والحركات الفلسطينية الإسلامية في حقبة بعد الربيع العربي

بعد أن وصلت موجات الربيع العربي إلى سورية وطلال أمد الأزمة السورية، انتقلت القيادة السياسية لحماس من سورية إلى مصر وقطر في شباط/ فبراير 2012، إذ انتقل خالد مشعل ومساعدوه إلى قطر، وأعلن إسماعيل هنية عن دعمه للانتفاضة ضد الأسد⁹³. وكانت الحكومة السورية قد رحّبت منذ عام 1999 بالمكتب السياسي لحماس واستضافته بعد أن اتهمت السلطات الأردنية الحركة باستخدام المملكة قاعدةً لأنشطة غير مشروعة، واحتجزت مشعل⁹⁴ وأحد كبار مساعديه فترة وجيزة⁹⁵. وحصلت قيادة حماس على ملاذ آمن، وتمتعت برفاهية تلقّي الدعم المالي واللوجستي في دمشق من الحكومة السورية وإيران وحزب الله، فأثنى خروجها من سورية وتأييدها للقوات المعادية للأسد مفاجئاً لإيران وحلفائها. ومع ذلك، تجنّبت سلطات الجمهورية الإسلامية توجيه أي انتقاد مباشر إليها، وحافظت على قنوات الاتصال معها.

88 " Hamas: We Will Never Recognize Israel," *The Guardian*, 8/12/2006, accessed on 30/9/2021, at: <https://bit.ly/3in9S5Q>

89 Rostami-Povey, p. 175.

90 Ibid.

91 إعلان المؤتمر الدولي الرابع لدعم فلسطين: <https://bit.ly/3kD35qa>

92 سيد قاسم ذاكري، *حميات قانوني* [الحماية القانونية] (طهران: مركز مطالعات فلسطين، 1390 [2011])، ص 67.

93 " Hamas Political Leaders Leave Syria for Egypt and Qatar," *BBC News*, 28/2/2012, accessed on 30/9/2021, at: <https://bbc.in/3AVDgaR>

94 أحد مؤسسي حركة المقاومة الإسلامية (حماس)، وكان شغل منصب رئيس المكتب السياسي للحركة منذ عام 1996 وحتى أيار/ مايو 2017.

95 Ibid.

وفي الجانب الآخر من الطيف السياسي الفلسطيني، حافظت الجهاد الإسلامي على موقعها في محور المقاومة. ورفضت قيادتها، إثر اندلاع الأزمة السورية، قطع العلاقات مع دمشق، وبقيت على الحياد. وفي كانون الثاني/يناير 2012، زار رمضان عبد الله شلح⁹⁶ ووفده آية الله خامنئي في طهران. وأشار خامنئي خلال اللقاء إلى الوضع في سورية قائلاً: «إذا نظرنا إلى التطورات في سورية من منظور واسع وشامل، تتضح تمامًا المؤامرة التي حاكها أميركا لسورية. ولسوء الحظ، هناك دول داخل المنطقة وخارجها تتعاون مع أميركا في تنفيذ هذا المخطط»⁹⁷. وعلى الرغم من أن قيادة حماس سلكت مسارًا مختلفًا عن إيران وطفائها في الملف السوري، غير أن طهران حافظت على علاقاتها معها. وفي 10 شباط/فبراير 2012، حظّ إسماعيل هنية في طهران في زيارة رسمية، واستقبله مسؤولون كبار في الحكومة الإيرانية، من بينهم المرشد الأعلى ورئيس الجمهورية.

سابعًا: حربا غزة 2012 و2014: إيران وحماس والجهاد الإسلامي

في 14 تشرين الثاني/نوفمبر 2012، شنّ الجيش الإسرائيلي حملة عسكرية ضخمة على غزة، أطلق عليها اسم «عمود السحاب» وانطلقت بعد اغتيال أحمد الجعبري رئيس أركان الجناح العسكري لحركة حماس (كنايب عز الدين القسام) بضربة صاروخية في مدينة غزة، واستمرّت ثمانية أيام⁹⁸. وكان أثر دعم إيران للحركات الإسلامية الفلسطينية على صعيد أدائها العسكري، أهمّ تداعيات حرب غزة. وخلال أيام المقاومة الثمانية، أثبتت الحركات الإسلامية الفلسطينية قدرتها على الردّ على إسرائيل. واستخدم الفلسطينيون خلال الصراع صاروخ «فجر-5»، الذي طوّره إيران وقدمته لحزب الله ويصل مداه إلى 75 كم، ما أتاح لهم ضرب عاصمة إسرائيل⁹⁹.

من دون ادعاء الفضل في تقديم تكنولوجيا الصواريخ إلى حركات المقاومة، أشاد آية الله خامنئي بالفلسطينيين ومقاومتهم خلال أيام الحرب الثمانية¹⁰⁰. وفي الجانب الآخر للمشهد السياسي، كانت ردّة الفعل في غزة تجاه الدعم الإيراني من أكثر التداعيات اللافتة لحرب غزة في 2012. فوفقًا [للصحافي الفلسطيني] نزال المغربي، قدّم الغزويون شكرهم الشعبي لإيران على مساعدتهم في قتال إسرائيل في 27 تشرين الثاني/نوفمبر 2012، إذ جرى إطلاق الصواريخ الإيرانية الصنع من المناطق الفلسطينية في اتجاه تل أبيب والقدس¹⁰¹. وحملت لوحات إعلانية ضخمة على ثلاثة تقاطعات طرق رئيسية في قطاع غزة الرسالة التالية «شكرًا لإيران» باللغات العربية والإنكليزية والعبرية والفارسية، كما صوّرت الملصقات صواريخ «فجر-5» أيضًا. وكانت المرّة الأولى التي تشهد اعترافًا شعبيًا بدور إيران في تسليح المقاتلين الإسلاميين في الأراضي الفلسطينية¹⁰².

وفي تموز/يوليو 2014، تعرضت غزة مجددًا لقصف عنيف من جيش الدفاع الإسرائيلي، أعقبته حملة عسكرية ضخمة. وكانت إسرائيل ترمي إلى القضاء على عمليات إطلاق الصواريخ من غزة على إسرائيل والتي كانت تقوم بها الحركات الإسلامية الفلسطينية. وبعد عشرة أيام من القصف الجوي العشوائي، شنت إسرائيل

96 أحد مؤسسي حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين وتبوأ منصب الأمين العام للحركة بعد وفاة قائدها ومؤسسها فتحي الشقاقي عام 1995، واستمر بمنصبه هذا حتى مرضه عام 2018، وخلفه في المنصب زياد النخالة.

97 "Ayatollah Khamenei in meeting with Ramadan Abdullah: Resistance, Struggle Sole Way to Liberate Occupied Territories," The Office of the Supreme Leader, 15/12/2016, accessed on 30/9/2021, at: <https://bit.ly/3D0aBBX>

98 Harriet Sherwood, "Hamis Says Gates of Hell Opened as Israel Kills Military Leader in Gaza," *The Guardian*, 15/11/2012, accessed on 30/9/2021, at: <https://bit.ly/2Y52k0V>

99 Ian Black, "Fajr-5 Missiles Give Palestinians Rare if Short-Lived Advantage," *The Guardian*, 16/11/2012, at: <https://bit.ly/3zT8m1d>

100 "Leader's Speech to Participants of International Conference on Islamic Awakening," Ayatollah Khamenei, 11/12/2012, accessed on 30/9/2021, at: <https://bit.ly/3D2BapZ>

101 Nidal al-Mughrabi, "Gazans Say Thank You Iran after Israel Conflagration," *Reuters*, 27/11/2012, accessed on 30/9/2021, at: <https://reut.rs/3zW8Cwv>

102 Ibid.

حملة برية في 17 تموز/ يوليو 2014 معززة بالزوارق الحربية والطائرات المقاتلة والدبابات. وتجدر الإشارة إلى أن الحرب على غزة تزامنت مع خوض إيران سلسلة مفاوضات ماراتونية مع القوى العالمية بشأن برنامجها النووي. وكانت إيران آنذاك تدعم أيضاً النظام السوري، وتواجه خلافات مع المكتب السياسي لحركة حماس بشأن الأزمة السورية. وجاءت أبرز ردود الفعل المؤيدة للفلسطينيين في إيران من الرئيس البراغماتي حسن روحاني، الذي انتخب في آب/ أغسطس 2013. وتولى روحاني مقاليد الحكم بناءً على وعدين انتخابيين رئيسيين: تخفيف التوتر مع الغرب بشأن الملف النووي، وإجراء إصلاحات اقتصادية وسياسية في الحكومة. ورفض روحاني محاولات إسرائيل تبرير المجزرة التي ارتكبتها بحق الفلسطينيين، واتهم القادة الإسرائيليين بارتكاب التطهير العرقي في غزة. وانتقد بشدة صمت المجتمع الدولي قائلاً: «تكشف ردود الفعل الدولية للأسف أن الحكومات الغربية والعديد من الحكومات العربية والمسلمة التزمت الصمت إزاء هذه الجرائم، أو أن ردود فعلهم لا ترقى إلى حجم الكارثة القادمة في قطاع غزة»¹⁰³. ودعا روحاني الحكومات الغربية إلى دعم المستضعفين في فلسطين مهما كانت مصالحهم في الحفاظ على تحالفهم مع إسرائيل، إذ قال: «قصف المدارس وقتل الأطفال في غزة هما مثال واضح على الإبادة الجماعية في العالم حالياً»¹⁰⁴.

والأهم من ذلك، تردّد صدى دعم شعب غزة بشدة لدى متطوعي الحرس الثوري الإيراني: الباسيج [أي قوات تعبئة الفقراء والمستضعفين باللغة الفارسية]. فأعلن اللواء محمد رضا نقدي، قائد الباسيج، أن الدعم الإنساني الإيراني لشعب فلسطين لا حدود له، وأن «مساعدات الأمة الإيرانية للشعب الفلسطيني لا تعرف حدوداً، وأن حزم معوناتنا ستؤمن لهم كل احتياجاتهم»¹⁰⁵. وبعبارة أخرى، ألقت حرب غزة بظلالها على الحياة السياسية الإيرانية مجدداً، وسهّلت التوصل إلى إجماع بين الفصائل السياسية في النظام. ولم يقتصر الدعم الإيراني على الأجهزة الحكومية، بل شمل شخصيات إيرانية غير حكومية أبدت تضامناً قوياً مع شعب غزة. فأطلق أصغر فرهادي، المخرج الإيراني الحائز على الأوسكار، حملة إعلامية تدين قتل الفلسطينيين، ونشر صورة له على حسابه على موقع فيسبوك يحمل لافتة تقول «أوقفوا قتل إخوانكم من بني البشر»¹⁰⁶. والأهم من ذلك أن عزت الله انتظامي، الممثل الإيراني الأسطوري، أصدر بياناً دعا فيه الشعب الإيراني إلى التجمع خارج مكتب الأمم المتحدة في طهران للتضامن مع شعب غزة.

تؤكد مثل هذه البيانات التضامن الأصيل لكثير من أبناء الشعب الإيراني مع الفلسطينيين، وتُبين أيضاً ارتباطاً بأفكار الثورة الإسلامية الداعمة للمظلومين ضد الظالمين، وهي السرديات نفسها التي وُجِّدَت الأمة الإيرانية إبان الثورة الإسلامية في عام 1979. ولا يعني ذلك أن جميع الإيرانيين متماثلون في الإعراب عن تعاطفهم مع الفلسطينيين، ولا شك في أن البعض انتقد نهج الجمهورية الإسلامية إزاء النزاع الفلسطيني - الإسرائيلي. لقد كانت حرباً غزة في عامي 2012 و2014 بمنزلة اختبار لمدى التزام الثورة في إيران بالقضية الفلسطينية؛ فقد وقعت حرب غزة 2014 في ظل تباين عميق بين موقفَي النظام الإيراني وحماس من الأزمة السورية. وحتى تاريخ كتابة هذه السطور، لم تتوصل الجمهورية الإسلامية وحماس إلى توافق في الآراء بشأن النزاع السوري، ولم تُحلَّ بعد خلافات طهران مع المملكة العربية السعودية في ملفات أخرى (في اليمن ولبنان). ومع ذلك، حافظت إيران على علاقاتها بالفصائل الإسلامية الفلسطينية وسعت إلى تحسينها، وخاصة حماس والجهاد الإسلامي.

103 Ibid.

104 Ibid.

105 "Basij Commander: No Limitations for Iran's Aid to Palestinians," *Fars News Agency*, 5/8/2014, accessed on 30/9/2021, at: <https://bit.ly/3AVOBHD>

106 "مخرج فيلم 'انفصال' موضع انتقاد في إيران لما نشره حول غزة على الفيس بوك"، *المونيتور*، 2014/7/17، شوهده في 2021/9/30، في: <https://bit.ly/3AWIMv1>

خاتمة

لعل من البديهي القول إن جمهورية إيران الإسلامية دولة تستند إلى القيم الثورية وتعتمد السياسات ذات التوجّه الإسلامي، وهي مشبعة بها. فمناهضة إيران للصهيونية ورأيبتها تجاه الولايات المتحدة ونهجها الذي يركز على الأمة ينسجم كل ذلك مع المصالح الاستراتيجية للجمهورية الإسلامية ونظرتها الأيديولوجية. وبعبارة أخرى، تتكامل المصالح الاستراتيجية مع هوية الدولة. ومع ذلك، تجدر الإشارة إلى أن السبب الرئيس الذي يدفع الثوار الإيرانيين من مختلف الخلفيات السياسية إلى التوافق بارتياح بشأن دعم القضية الفلسطينية، يكمن في القبول العام لضرورة الدفاع عما يُعتبر قضية عادلة. وتجلّى عمق ذلك في أثناء الثورة الإسلامية من خلال طرح مصطلحي «المستضعفين» و«المستكبرين».

وفي الوقت نفسه، أشارت هذه الدراسة إلى أن جمهورية إيران الإسلامية، حالها حال الدول كافة، تسعى إلى توسيع هيمنتها السياسية والأيديولوجية في أنحاء المنطقة كلها. وفي هذا الصدد، ترى الجمهورية الإسلامية أنها تملك الحق والقدرة على قيادة الأمة الإسلامية في نضالها الأيديولوجي ضد ما يُعرف بالاستكبار العالمي، وهو مصطلح يُقصد به عادة الولايات المتحدة. فدعم فلسطين يخدم المصالح الاستراتيجية لإيران في استعراض قوتها وتوسيع نفوذها الأيديولوجي والسياسي في العالم الإسلامي بأسره. بعبارة أخرى، تتكامل عملية توسيع النفوذ والسعي للهيمنة في المنطقة ومعتقدات الجمهورية الإسلامية بشأن قيادة الأمة. وتسعى الجمهورية الإسلامية من خلال المبالغة في خطابها المؤيد للفلسطينيين إلى توسيع رقعة انتشارها في العالم العربي والبيئة المسلمة السنيّة الأوسع، للحفاظ على موقعها بوصفها القائمة بأعمال «قائد» الأمة. وبناء عليه، أصبحت القضية الفلسطينية مفيدة استراتيجياً للجمهورية الإسلامية، بمعنى أنها أتاحت لإيران تعميم خطابها السياسي الذي ينادي بالمقاومة والتحرّر في جميع أنحاء المنطقة، ما منحها سلطة وأكسبها نفوذاً في المنطقة. وتؤكد الفصائل المختلفة في الجمهورية الإسلامية على أفكار الثورة الإسلامية لتعزيز صدقية إيران بوصفها «زعيمة» الأمة الإسلامية. وبالمثل، اعتبرت القيادة الإيرانية القضية الفلسطينية معياراً لقياس المقاومة الإسلامية ضد «الاستكبار العالمي».

تتجاوز القضية الفلسطينية الجغرافيا بالنسبة إلى جمهورية إيران الإسلامية، ومن ثم تنسجم مع أهدافها الاستراتيجية، لأنها تعكس بسهولة قيمها الأيديولوجية الثورية. أما رفض الصهيونية ومقاومة احتلال فلسطين فجزء لا يتجزأ أيضاً من قاموس إيران المعاصر. وفي هذا الصدد، يتطلّب حذف الخطاب المؤيد للفلسطينيين والخطاب المناهض للهيمنة من قاموس الجمهورية الإسلامية الإيرانية تغييراً ثورياً في هوية الدولة، ومن ثم تغيير النظام. وبعبارة أخرى، يجسّد دعم الفلسطينيين جزءاً أساسياً من تكوين هوية الجمهورية الإسلامية على الرغم من التقلبات التي طرأت على الخطاب والتي دُكرت سابقاً.



المراجع

الأجنبية

- Abrahamian, Ervand. "The Guerrilla Movement in Iran, 1963–1977." *Middle East Research and Information Project (MERIP)*. vol. 86 (March–April 1980).
- Abu Sharif, Bassam. *Arafat and the Dream of Palestine: An Insider's Account*. Basingstoke: Palgrave Macmillan, 2009.
- Alagha, Joseph. "Hizbullah, Iran and the Intifada." *International Institute for the Study of Islam in the Modern World (ISIM) Newslette* (Leiden University). vol. 9, no. 2 (2002).
- Alavi, Seyed Ali. *Iran and Palestine, Past, Present, Future*. London: Routledge, 2019.
- Bahgat, Gawdat. *Israel and the Persian Gulf: Retrospect & Prospect*. Gainesville, FL: University Press of Florida, 2008.
- Chehabi, H.E. (ed.). *Distant Relations: Five Centuries of Lebanese-Iranian Ties*. London: I.B. Tauris, 2006.
- Davari, Mahmood T. *The Political Thought of Ayatollah Mutahhari: An Iranian Theoretician of the Islamic State*. London: Routledge Curzon, 2005.
- Dehghani, Hamidreza. "Iran's Role in Opposition to the Partition of Palestine." *The Iranian Journal of International Affairs*. vol. 24, no. 3 (Summer 2009).
- Hanson, Brad. "The 'Westoxication' of Iran: Depictions and Reactions of Behrangi, al-e Ahmad, and Shariati." *International Journal of Middle East Studies*. vol. 15, no. 1 (February 1983).
- Haseeb, Khair el-Din (ed.). *Arab-Iranian Relations*. London/ New York: I.B Tauris & Co LTD, 1998.
- Hatina, Meir. *Islam and Salvation in Palestine: The Islamic Jihad Movement*. Tel Aviv: The Dayan Centre for Middle Eastern and African Studies, 2001.
- Hunter, Shireen. *Iran and the World: Continuity in a Revolutionary Decade*. Bloomington: Indiana University Press, 1990.
- Keddie, Nikki R. *Modern Iran: Roots and Results of the Revolution*. New Haven/ London: Yale University Press, 2003.
- Knudsen, Are. "Crescent and Sword: the Hamas Enigma." *Third World Quarterly*. vol. 26, no. 8 (2005).

- Norton, Augustus R. (ed.). *The International Relations of the Palestine Liberation Organization*. Carbondale: Southern Illinois University Press, 1989.
- Rahnema, Ali. *An Islamic Utopian: A Political Biography of Ali Shariati*. London: I.B. Tauris, 1997
- Rubin, Barry. *Yasir Arafat: A Political Biography*. London: Continuum, 2003.
- Rostami-Povey, Elaheh. *Iran's Influence*. London: Zed Books, 2010.
- Salamey, Imad. *The Government and Politics of Lebanon*. London: Routledge, 2014.
- Tamimi, Azzam. *Hamas: Unwritten Chapters*. London: Hurst & Company, 2009.

الفارسية

- **اسناد انقلاب اسلامي**. چاپ اول. طهران: مركز اسناد انقلاب اسلامي، 1374 [1995].
- ذاكرى، سيد قاسم. **حميات قانوني** [الحماية القانونية]. طهران: مركز مطالعات فلسطين، 1390 [2011].
- رجبى، محمد حسن. ”درنگى بر مجاهدت هاى آيت الله سيد ابوالقاسم كاشانى“ [نظرة على نضال آية الله كاشانى]. مركز اسناد انقلاب اسلامي (صيف 2008). في: <https://bit.ly/3iNp0to>
- رضوي، سيد عباس. ”علمائى شيعه و حمايت فقهي و سياسى از فلسطين“ [رجال الدين الشيعة والفقهاء الإسلامى والدعم السياسى لفلسطين]. **پايگاه اطلاع رسانى حوزه**. العدد 78 (آذر 1381 [خريف 2002]). في: <https://bit.ly/3tK5iTI>
- زاده، كسرا صادق. **شهيد دكتور فتحى شقاقى** [الشهيد د. فتحى الشقاقى]. طهران: مركز اسناد انقلاب اسلامي، 1389 [2010].
- موسسه مطالعات و پژوهش هاى سياسى. **سازمان مجاهدين خلق پيداىي تا فرجام (1344-1384) [منظمة مجاهدي خلق: من النشوء وحتى النهاية 1965-2005]**. طهران: موسسه مطالعات و پژوهش هاى سياسى، 1389 [2010].
- ولايتى، على أكبر. جمهورى اسلامى ايران و تحولات فلسطين 1357 - 1385 [الجمهورية الإسلامية الإيرانية وقضية فلسطين]. وزارت امور خارجه، 1387 [2008].